

المسائل الخلافية في سورة الأعلى
من الآية (١) إلى الآية (٣)
دراسة تفسيرية مقارنة



د. محمد بن زيلعي هندي (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد:

موضوع البحث:

يبحث هذا البحث مسألتين مهمتين من مسائل تفسير سورة الأعلى:

أما الأولى: فتبحث معنى المراد بقوله اسم ربك في قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وتكشف السر في ذكر الاسم هنا، وما المراد بالآية.

أما الثانية: فتبحث متعلق الهداية في قوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

أهمية البحث:

وتظهر أهمية هذا البحث في أمور منها:

١- أنه يتعلق بسورة لها يكثر تكررها على ألسنة الأمة من خلال صلاة الوتر التي

(*) أستاذ التفسير المشارك بجامعة الطائف.

هي من السور التي يشرع قراءتها فيها، ومن شأن العلم بها أن يزيد المؤمن إيماناً وعلماً من خلال تدبره للقرآن الكريم.

- ٢- أن المسألة الأولى (معنى التسبيح في ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾) متعلقة بمسألة عقيدة وهي معاني تسبيح الله تعالى وتنزيهه، ولمعرفتها أثر في عقيدة المؤمن ومعرفة بما يستحقه ربه من التقديس والتنزيه، ولاستحضار معناها أثر في زيادة الإيمان واليقين.
- ٣- أن المسألة الثانية (متعلق الهداية في قوله: ﴿قَدْ رَفَّاهْدَى﴾) متعلقة أيضاً بصفة من صفاته تعالى، وفعل من أفعاله، وهو فعل الهداية، واسم الله «المهدي»، وبمعرفة الصواب فيها يعلم الإنسان هذه الصفة العظيمة لله تعالى ومدى اتساع مدلولها، وتزداد معرفته بربه تبارك وتعالى.

- ٤- يبحث هذه المسائل يزداد طالب علم التفسير علماً بأسباب الاختلاف، ووجوه الترجيح المعتمدة في هذا العلم.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى أهداف منها:

- ١- دراسة المسألتين موضوع البحث دراسة تحليلية موسعة مرتبة لاستيعابها واستيعاب ما فيها من أقوال.

٢- معرفة القول الراجح في كل مسألة؛ لإزالة الإشكال الذي تتضمنه.

٣- معرفة أدلة ترجيح القول الراجح.

٣- معرفة سبب الاختلاف في كل مسألة.

منهج البحث:

لتحقيق هذه الأهداف كان لابد من سلوك عدة مناهج بحثية من أبرزها:

- ١- المنهج الاستقرائي لجمع الأقوال وأدلتها.

٢- المنهج التحليلي بتحليل كل قول وبيان مفهومه وما يترتب عليه.

٣- المنهج المقارن في المقارنة بين الأقوال.

٤- المنهج الاستدلالي بالاستدلال على صحة كل قول، أو بطلانه.

خطة البحث:

المبحث الأول: المسألة الأولى: المراد بقوله: ﴿اسم ربك﴾.

المبحث الثاني: المسألة الثانية: متعلق الهداية في قوله: ﴿قدر فهدى﴾

المبحث الأول

المسألة الأولى: المراد بقوله: «اسم ربك»

أسباب الاختلاف:

اختلف أهل التأويل في المراد بقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ على أقوال كثيرة.

فتعددت الأقوال في معنى التسبيح، واختلفت في معنى إسناد التسبيح للاسم وما

مدلوله؟

والباحث في هذه الأقوال يستنتج أن من أسباب هذا الاختلاف:

أولاً: تعدد معاني التسبيح في اللغة والقرآن.

فإن التسبيح من حيث الاشتقاق اللغوي مأخوذ في اللغة من مادة «سبح» المؤلفـة

من ثلاثة حروف هي: السين المهملة، والباء، والحاء.

وقد جاء لهذه المادة اللغوية عدة معان، أهمها:

١- البعد، تقول: سبحت في الأرض: إذا أبعدت أو تباعدت فيها، والسبح: الإبعاد

في السير.

٢- الجري والمر السريع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:

[٤٠]، أي يجرون.

٣- العوم، وهو السير على الماء منبسطاً. يقال: سبح بالماء، وفيه يسبح، سبحاً، وسباحة: إذا عام فيه، فهو سابح وسبوح.

وعند التأمل نجد أن هذه المعاني تؤول إلى معنى واحد، هو البعد والإبعاد، فإن المعنى الثاني الذي هو الجري والمر السريع فيه هذا المعنى، لأنه إذا جرى أو مرّ سريعاً أبعد، وصار بعيداً. وكذا المعنى الثالث الذي هو العوم والسباحة في الماء يباعد ما بين طرفيه، فيكون فيه معنى التباعد. ولهذا أشار بعض أهل العلم باللغة إلى أن أصل المادة الدلالة على البعد^(١).

ويأتي التسبيح في اللغة بمعنيين:

أحدهما: التنزيه والتبرئة من السوء. تقول: سبحت الله تسبيحاً، أي: نزهته تنزيهاً، وبرأته تبرئة من كل سوء.

والثاني: قول: «سبحان الله». يقال: سبّح الرجل تسبيحاً، أي: قال: سبحان الله. ولا اختلاف بين المعنيين فإن هذا المعنى آيل إلى الأول؛ لأن قول القائل: «سبحان الله» معناه: تنزيه الله وبرأته من السوء. غير أن المعنى الأول مدلوله معنوي، والثاني مدلوله قول لفظي^(٢).

وأما في الشرع فمعناه الشرعي: تنزيه الله تعالى في الاعتقاد والقول والعمل، عما لا يليق به سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته، وأقواله وأفعاله.

هذا معناه الأصلي في الشرع، وقد أطلق على معان شرعية أخرى:

أحدها: الصلاة. كقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١٣٠) ﴿

(١) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة: د. محمد إسحاق كندو (١ / ٤١ - ٤٦).

(٢) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة: د. محمد إسحاق كندو (١ / ٣٧ - ٤٠).

[طه: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)﴾ [ق: ٣٩، ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)﴾ [الروم: ١٧، ١٨].

الثاني: الذكر. كقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)﴾ [مريم: ١١].^(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (ولفظ التسبيح يُراد به جنس الصلاة. وقد يُراد به النافلة خصوصاً، فإن الفرض لما كان له اسمٌ يخصه جعل هذا اللفظ للنافلة، كما في الحديث: كان رسول الله ﷺ يُسَبِّح على راحلته حيث توجّهت به راحلته^(٢)). وكان يُصَلِّي سُبْحَةَ الضحى^(٣)).

ومنه ما رواه مسلم في صحيحه عن حفصة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ صَلَّى في سبخته قاعداً، حتى كان قبل وفاته بعامٍ - وفي رواية: أو اثنين - فكان يصلي في سبخته قاعداً، وكان يقرأ فيها بالسورة فيرثلها، حتى يكون أطول من أطول منها^(٤).

(١) انظر لتفصيل المعاني التي أطلق عليها التسبيح في الشرع: التسبيح في الكتاب والسنة: د. محمد إسحاق كندو (١/ ٦٨-١١١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: من تطوع بالسفر في غير دبر الصلوات وقبلها (٢/ ٤٦)، برقم «١١٠٤» من حديث عامر بن ربيعة، بلفظ (رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى السُّبْحَةَ بِاللَّيْلِ فِي السَّفَرِ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ)، وبغير هذا اللفظ عن عامر وابن عمر في مواضع أخرى.

(٣) لم أجد هذا اللفظ. ولعله يقصد - وهو يقوم مقامه على كل حال - حديث عَتَبَانَ بْنِ مَالِكٍ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي بَيْتِهِ سُبْحَةَ الضُّحَى، فَقَامُوا وَرَأَوْهُ فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ" أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/ ١٩٠)، برقم «٢٣٧٧٣». قال محققه (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز النافلة قائماً وقاعداً، وفعل بعض الركعة قائماً وبعضها قاعداً (١/ ٥٠٧)، برقم (٧٣٣).

ومنه أيضاً ما أخرجه في الصحيحين عن عائشة قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُصَلِّي سُبْحَةَ الضَحَى قَطُّ، وإِنِّي لأُسَبِّحُهَا، وإن رسولَ الله ﷺ لَيَدْعُ الْعَمَلَ وهو يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفَرِّضَ عَلَيْهِمْ^(١).

لكن هذا يوجد في كلام الفصحاء، تسمية التطوع سُبْحَةً، خصوصه بذلك. وأما في كلام النبي ﷺ فيحتاج إلى نقل عنه.

ويراد بالتسبيح جنس ذكر الله تعالى، يقال: فلان يُسَبِّحُ، إذا كان يذكر الله. ويدخل في ذلك التهليل والتحميد، ومنه سُمِّيَتْ "السُّبْحَةُ" للإصبع التي يشير بها، وإن كان يشير بها في التوحيد. ويراد بالتسبيح قول العبد: "سبحان الله"، وهذا أخصُّ به. وفي السنن: لما أنزل الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ قال: "اجعلوها في ركوعكم"، ولما نزل ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)﴾ قال: "اجعلوها في سجودكم"^(٢) ^(٣).

الثاني: من أسباب الاختلاف في هذه المسألة: تعدد إسناد التسبيح إلى الاسم تارة وإلى الذات العلية ﷻ تارة أخرى، فقد قال في الإسناد إلى الاسم: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]. وقال في إسناد التسبيح إلى الذات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كَانُوا وَعَدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، ونحوه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، (٢ / ٥٠)، برقم (١١٢٨)، و(٢ / ٥٨)، برقم (١١٧٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة الضحى (١ / ٤٩٧)، برقم (٧١٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١ / ٢٣٠)، كتاب الصلاة: باب ما يقوله الرجل في ركوعه وسجوده برقم (٨٦٩) وابن ماجه في سننه (١ / ٢٨٧)، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: التسبيح في الركوع والسجود، برقم (٨٨٧) عن عتبة بن عامر.

(٣) جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٢٩١ - ٢٩٣).

ولهذا كثرت الأقوال في معنى التسبيح هنا، وكثرت الأقوال في معنى إسناد إلى اسم الله، وهل هذا يقتضي تسبيح الاسم؟ وما دلالة تسبيح الاسم؟ وهل يكون المراد بهذا الإسناد تسبيح الله فقط أم هناك دلالة أخرى؟
جملة الأقوال:

ومع اختلاف أساليبهم وتعبيراتهم عن المعنى اختلفت صيغ الأقوال واشتبهت حتى أضحيت مشكلة على القارئ لا يستطيع الخروج منها بالقول الصواب إلا بجهد. ومن تلك المعاني التي ذكروها في المراد بقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾:

الأول: عظم ربك.

الثاني: نزه اسم ربك عن أن تسمى به أحداً سواه.

الثالث: نزه ربك عما يقول المشركون.

الرابع: نزه تسميتك ربك أن تذكره إلا وأنت له خاشع.

الخامس: صل بذكر ربك.

السادس: ارفع صوتك بذكر ربك.

السابع: سبح بأمر ربك.

الثامن: صل لربك.

التاسع: صل باسم ربك لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية.

العاشر: أن الاسم هنا هو الصفة.

الحادي عشر: أن التسبيح في الآية الذكر^(١).

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٢٤/ ٣٠٩ - ٣١٠)، الكشف والبيان للثعلبي (١٠/ ١٨٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١٢/ ٨٢٠٣)، النكت والعيون للماوردي (٦/ ٢٥١)، تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٠٦)، معالم التنزيل للبغوي (٨/ ٣٩٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٦٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٤٣١)، التفسير الكبير للرازي (٣١/ ١٢٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٣)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ٤٧٣)، البحر المحيط لأبي حيان (١٠/ ٤٥٥)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٠/ ٢٧٢).

خلاصة الأقوال:

والتأمل في هذا الأقوال يستنتج أنها لا تخرج عن ثلاثة أقوال:

الأول: أن المراد بالتسبيح هنا التنزيه.

وقد اختلف القائلون بهذا القول في المقصود بالتسبيح في الآية:

فذهب فريق إلى أن المقصود الأول بالتسبيح في الآية الله تعالى.

والمعنى: نزهه ربك عن السوء، وقل سبحان ربي الأعلى.

وهذا القول منسوب لعدد من الصحابة والتابعين، منهم: علي بن أبي طالب (ت:

٤٠هـ) وابن عباس (ت: ٦٨ هـ)، وابن عمر (ت: ٧٣هـ)، وابن الزبير (ت:

٧٢هـ)، وعبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ)، وأبي موسى الأشعري (ت: ٤٤هـ)

❦^(١).

ويدخل في هذا المعنى صور كثيرة من التنزيه، منها:

- أن لا يعامل الكفار معاملة يقدمون بسببها على ذكر الله تعالى بما لا ينبغي، كما

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

- تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله،

وأحكامه^(٢).

- تنزيه الله تعالى عما يصفه به المشركون من الولد والشريك، ونحوهما؛ كقوله

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٢٤/ ٣٦٧-٣٦٨)، معالم التنزيل للبغوي (٨/ ٣٩٦)، النكت والعيون

للماوردي (٦/ ٢٥١)، البسيط للواحدي (٢٣/ ٤٢٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٤).

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣١/ ١٢٤).

جل وعلا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) [الصفات: ١٨٠]^(١).
وقد اختلف من علل من العلماء سبب إسناد التسييح للاسم في هذا القول على أقوال:

- ١- أن الاسم للإشارة إلى ذكر الاسم في التسييح بالقول.
نسبه أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ) إلى السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، وابن جزئي (ت: ٧٤١هـ) وغيرهم^(٢).
قال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ): (تأول السهيلي: رحمه الله قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ بأنه أقحم الاسم تنبيها على أن المعنى سبِّح ربك واذكر ربك بقلبك ولسانك حتى لا يخلو الذكر والتسييح من اللفظ باللسان لأن الذكر بالقلب متعلقه المسمى المدلول عليه بالاسم والذكر باللسان متعلقة اللفظ)^(٣).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، قال (وَالْتَحْقِيقُ "أَنَّهُ لَيْسَ بِصَلَةٍ بَلْ أَمَرَ اللَّهُ بِتَسْبِيحِ اسْمِهِ كَمَا أَمَرَ بِذِكْرِ اسْمِهِ. وَالْمَقْصُودُ بِتَسْبِيحِهِ وَذِكْرِهِ هُوَ تَسْبِيحُ الْمُسَمَّى وَذِكْرُهُ فَإِنَّ الْمُسَبَّحَ وَالذَّاكِرَ إِنَّمَا يُسَبِّحُ اسْمَهُ وَيَذْكُرُ اسْمَهُ؛ فَيَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى فَهُوَ نَطَقَ بِلَفْظِ رَبِّي الْأَعْلَى وَالْمُرَادُ هُوَ الْمُسَمَّى بِهَذَا اللَّفْظِ فَتَسْبِيحُ الْاسْمِ هُوَ تَسْبِيحُ الْمُسَمَّى)^(٤).
٢- أنه أسند التسييح للاسم لأنه هو المسمى. وهو قول الواحدي (ت:

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٩/ ٤٥٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣١٥)، معالم التنزيل للبغوي (٨/ ٣٩٦)، البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٠)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٩٩)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن وابن جزئي (٢/ ٤٧٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٩/ ٤٥٤)، تفسير المنار لرشيد رضا (١/ ٣٥).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٠).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٩٩).

٤٦٨هـ).

٣- أن ذكر الاسم هنا صلة أي: زائد^(١).٤- أن الاسم هنا صلة أريد به المسمى^(٢).

٥- أنه صلة لتفخيم، وتعظيم المسمى؛ لأن المذكور إذا كان في غاية العظمة لا يذكر هو، بل يذكر اسمه، فيقال: سبّح اسمه، ومجد ذكره، كما يقال: سلام على المجلس العالي^(٣).

كما قال لييد:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَنْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ

وذهب فريق إلى أن المقصود الأول بالتسبيح في الآية الاسم.

فيكون المعنى: نزهه يا محمد اسم ربك الأعلى. وتنزيهه أَسْمَاءُ اللَّهِ عَلَى عِدَّةٍ مَعَانٍ:

مِنْهَا: تَنْزِيهُهَا عَنْ إِطْلَاقِهَا عَلَى الْأَصْنَامِ: كَاللَّاتِ، وَالْعُزَّى، وَاسْمِ الْإِلَهِ، وقد استظهره أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ)، فقال: (الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم، أي نزهه عن أن يسمى به صنم أو وثن فيقال له رب أو إله، وإذا كان قد أمر بتنزيه اللفظ أن يطلق على غيره فهو أبلغ، وتنزيه الذات أخرى)^(٤).

وَمِنْهَا: تَنْزِيهُهَا عَنِ اللَّهِ بِهَا وَاللَّعِبِ، كَالْتَلْفُظِ بِهَا فِي حَالَةِ تَنَافِي الْخُشُوعِ وَالْإِجْلَالِ: كَمَنْ يَعْثُ بِهَا وَيَلْهُو، وَنَظِيرُهُ مَنْ يَلْهُو وَيَسْهُو عَنْ صَلَاتِهِ: ﴿فَوَيْلٌ

(١) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٨٣/ ١٠)

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠٠/ ٦)

(٣) انظر: النكت والعيون للماوردي (٢٥١/ ٦)، التفسير الكبير للرازي (١٢٤/ ٣١)، محاسن التأويل للقاسمي (٩/ ٤٥٤).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٤٥٥/ ١٠).

لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ [الماعون: ٤، ٥]، أَوْ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: كَنَقَشِ الثُّوبِ، أَوْ الْفِرَاشِ الْمُمْتَنَنِ.
وَمِنْهَا: تَنْزِيهُهَا عَنِ الْمَوَاطِنِ غَيْرِ الطَّاهِرَةِ، وَقَدْ كَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ نَزَعَ خَاتَمَهُ^(١)؛ لِمَا فِيهِ مِنْ نَقَشِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
وَمِنْهُ: صَيَانَةُ الْأَوْرَاقِ الْمَكْتُوبَةِ مِنَ الْإِبْتِدَالِ صَوْتًا لِاسْمِ اللَّهِ.
منها تنزيه أسمائه عن تفسيرها بما لا يصح ثبوته في حقه سبحانه وتعالى بأن تكون النصوص قد دلت على بطلانه، وليس بمجرد العقل^(٢).

وكل صور التنزيه هذه لاشك أنها تدخل تحت تنزيه اسمه تعالى.
القول الثاني: أن يكون التسييح بمعنى الصلاة. فيكون المعنى: صلّ لربك الأعلى، أو: صلّ بأسماء الله لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية. وهو المنسوب إلى الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ)، أو: صلّ بأمر ربك وهو المروي عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) أو: صلّ بذكر ربك يا محمد، يعني: صلّ وأنت له ذاك، ومنه وجل خائف^(٣).
الثالث: أن يكون التسييح بمعنى الذكر، فيشمل التحميد والتلهيل والتكبير.
فيكون المعنى: كن ذاكرًا لربك بقلبك، ولسانك، أو: ارفع صوتك بذكر ربك،

(١) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب اللباس، باب: ما جاء في لبس الخاتم في اليمين (٣/ ٢٨١)، برقم «١٧٤٦»، وقال حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه، والنسائي في سننه، كتاب الزينة، باب: نزع الخاتم عند دخول الخلاء (٨/ ١٧٨)، برقم «٥٢١٣» وضعفه الألباني.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢٤/ ٣٦٧-٣٦٨)، التفسير الكبير للرازي (٣١/ ١٢٣)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ٤٧٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٨/ ٤٩٩).

(٣) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٣٦٧-٣٦٨)، وانظر: تفسير السمعاني (٦/ ٢٠٦)، التفسير الكبير للرازي (٣١/ ١٢٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٤-١٥)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥١٤).

واحده ووحده، وهو اختيار الشيخ عطية سالم^(١)، ومنه قول جرير^(٢):
 فَبَحَّ إِلَاهُ وَجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا سَبَّحَ الْحَجِيجَ وَكَبَّرُوا تَكْبِيرًا
 وهذا نلاحظ أن الأقوال التي قيلت في الآية تتمحور حول جميع المعاني التي يأتي لها
 التسبيح، وذلك دليل على تأثير تعدد معاني التسبيح على الخلاف في هذه المسألة.
 الترجيح:

والراجع من هذه الأقوال القول الأول لأدلة كثيرة:
 أحدها: أن تفسير التسبيح بالتنزيه حمل له على معناه اللغوي الشائع، فإن أصل
 التسبيح التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص، وهو الغالب عليه لغة، وإن يستعمل
 أحياناً في غيره.

الثاني: أن تفسير التسبيح بالتنزيه حمل له على معناه الأغلب في القرآن، فإن لفظ
 التسبيح جاء في القرآن لعدة معان، لكنه في أكثر مواضعه بمعنى التنزيه.
 أما ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال «كل تسبيح في القرآن صلاة»،
 وما ورد عن سعيد بن جبير - رحمه الله - أنه قال: «كل تسبيح في القرآن فهو
 صلاة» وما ثبت عن غير من نحو ذلك، فقد حققه بعض الباحثين، وقرر أن هذه الكلية
 لا تنضبط إلا بعد تقييدها وتحويرها لتصبح: «كل تسبيح للمكلفين مقيد بزمن في
 القرآن مُفسَّر بالصلاة»^(٣).

والذي ينضبط بهذا الضابط آيات قليلة بالنسبة لموارد التسبيح في القرآن التي إذا
 تأملها الناظر وجد أن أكثرها فسر بالتنزيه وهو المعنى المناسب له.

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٨/ ٥٠٠).

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (٦/ ٢٥١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٥)، فتح القدير
 للشوكاني (٥/ ٥١٤).

(٣) انظر كليات الألفاظ في التفسير للدكتور: بريك القرني (١/ ٢٧٢-٢٩٦). وفيه تحقيق نسبة هذا القول لابن
 عباس رضي الله عنهما وقد قرر ثبوته.

وإذا كان ذلك كذلك، كان التنزيه هو المعنى الأكثر إن لم يكن الغالب للتسبيح في القرآن.

وعليه فإن الراجح عند احتمال اللفظ لذلك المعنى وغيره، أن يقدم هو، عملاً بالقاعدة المقررة عند العلماء في هذا الباب^(١).

الثالث: أن هذا القول أعم الأقوال، فإنه يدخل فيه غيره تضمناً أو التزاماً، وهو لا يدخل في غيره بكماله، وذلك من أوجه عدة:

١ - أن الصلاة تدخل فيه؛ لأنه تحتوي على التسبيح، ولهذا من معاني التسبيح الصلاة كما قد سبقت الإشارة إلى ذلك.

٢ - أن الذكر أيضاً يدخل فيه؛ فإن مقتضى التسبيح التعظيم والتعظيم يستلزم إثبات المحامد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (وَالْأَمْرُ بِتَسْبِيحِهِ يَقْتَضِي أَيْضاً تَنْزِيهَهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَسُوءٍ وَإِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ. فَإِنَّ التَّسْبِيحَ يَقْتَضِي التَّنْزِيهَ وَالتَّعْظِيمَ. وَالتَّعْظِيمُ يَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ الْمَحَامِدِ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا. فَيَقْتَضِي ذَلِكَ تَنْزِيهَهُ وَتَحْمِيدَهُ وَتَكْبِيرَهُ وَتَوْحِيدَهُ)^(٢).

ويقول: (وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ صِفَاتِ الْكَمَالِ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ، وَالصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ إِنَّمَا تَكُونُ كَمَالاً إِذَا تَضَمَّنَتْ أُمُوراً وَجُودِيَّةً؛ وَلِهَذَا كَانَ تَسْبِيحُ الرَّبِّ يَتَضَمَّنُ تَنْزِيهَهُ وَتَعْظِيمَهُ جَمِيعاً فَقَوْلُ الْعَبْدِ: "سُبْحَانَ اللَّهِ" يَتَضَمَّنُ تَنْزِيهَ اللَّهِ وَبَرَاءَتَهُ مِنَ السُّوءِ وَهَذَا الْمَعْنَى يَتَضَمَّنُ عَظَمَتَهُ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ هُوَ عَدَمًا مَحْضًا لَا يَتَضَمَّنُ وَجُودًا فَإِنَّ هَذَا لَا مَدْحَ فِيهِ وَلَا تَعْظِيمَ. وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا تَنْسُرُهُ الرَّبُّ عَنْهُ مِنْ

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور: حسين الحربي (١/ ١٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦ / ١٢٥).

الشُّرَكَاءِ وَالْأَوْلَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) - إِلَى قَوْلِهِ - (إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا). [الإسراء: ٤٠-٤٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) [الصفافات: ١٨٠-١٨١]، وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَتَنَفَّى الْعُيُوبَ وَالتَّقَاتِصَ يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الْكَمَالِ وَتَنَفَّى الشُّرَكَاءِ يَقْتَضِي الْوَحْدَانِيَّةَ وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْكَمَالِ فَإِنَّ مَا لَهُ نَظِيرٌ قَدْ انْقَسَمَتْ صِفَاتُ الْكَمَالِ وَأَفْعَالُ الْكَمَالِ فِيهِ وَفِي نَظِيرِهِ فَحَصَلَ لَهُ بَعْضُ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَا كُلُّهَا. فَالْمُنْفَرِدُ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَكْمَلُ مِمَّنْ لَهُ شَرِيكَ يُقَاسِمُهُ إِيَّاهَا^(١).

وهذا فإن التسييح يستلزم الحمد وهو المعبر عنه بـ «الحمد لله»، ويستلزم التوحيد المتمثل في كلمة التوحيد «لا إله إلا الله». وهما مجامع الذكر اللذان يدخل فيهما ما سواهما، واستلزام التسييح لما سواهما من باب أولى.

٣- أن التسييح على هذا القول شامل للقول والعمل والاعتقاد، لأنه أمر بالتسييح المطلق مع التنبيه على قوله باللسان، وحينئذ فهو يشمل جميع أنواع التسييح والتمجيد لله تعالى.

ولهذا كان من أحسن وأجمع ما قيل في تفسيره قول الشيخ السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رحمه الله تعالى (يأمر تعالى بتسييحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسييحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسماءه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم، وتذكر أفعاله التي

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ١٤٣-١٤٤).

منها أنه خلق المخلوقات فسواها، أي: أتقنها وأحسن خلقها، (وَالَّذِي قَدَّرَ) تقديرًا، تتبعه جميع المقدرات (فَهَدَى) إلى ذلك جميع المخلوقات^(١).

٤ - أن تنزيه الاسم داخل تبعاً في هذا القول. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) (وَمَنْ جَعَلَهُ تَسْبِيحًا لِلْإِسْمِ يَقُولُ الْمَعْنَى أَنَّكَ لَا تُسَمِّيهُ غَيْرَ اللَّهِ وَلَا تُلْحَدُ فِي أَسْمَائِهِ فَهَذَا مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ اسْمُ اللَّهِ لَكِنَّ هَذَا تَابِعٌ لِلْمُرَادِ بِالْآيَةِ لَيْسَ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَا الْقَصْدُ الْأَوَّلُ)^(٢).

الرابع: الأحاديث والآثار التي تدل وردت في سياق الحال لهذه الآية، فإنه تشير إلى هذا المعنى، وتدل على أن الإتيان بالاسم كان للتبني على الذكر بالقول، بالإضافة لما يفيد معنى التنزيه أصلاً من التنزيه الشامل لكل ما يقع به من قول وفعل واعتقاد. ومن تلك الأحاديث:

١ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ «لَمَّا نَزَلَتْ (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ فَلَمَّا نَزَلَتْ (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) قَالَ اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) (قَالَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ) "وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنْ يَقُولُوا فِي الرُّكُوعِ سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ وَفِي السُّجُودِ سُبْحَانَ رَبِّي

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٩٢٠)

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٩٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: ما يقوله الرجل في ركوعه وسجوده (١/ ٢٣٠)، برقم «٨٦٩»، وضعفه الألباني، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب ذكر المراء بالتسبيح لله في الركوع والسجود للمصلي في صلاته (٥/ ٢٢٥)، برقم «١٨٩٨»، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الواقعة (٢/ ٥١٩)، برقم «٣٧٨٣» وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٨/ ٦٣٠)، برقم «١٧٤١٤»، وقال الأرئووط: محتمل التحسين، لكثرة شواهد.

الْأَعْلَى كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ (قَامَ بِالْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ وَآلِ عِمْرَانَ ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَسَجَدَ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى)^(١). وَفِي السُّنَنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (إِذَا قَالَ الْعَبْدُ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثًا فَقَدْ تَمَّ رُكُوعُهُ وَذَلِكَ أَذْنَاهُ وَإِذَا قَالَ فِي سُجُودِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثًا فَقَدْ تَمَّ سُجُودُهُ وَذَلِكَ أَذْنَاهُ)^(٢) وَقَدْ أَخَذَ بِهِذَا جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ^(٣).

٢- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) قَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى^(٤).

أما الأقوال الأخرى فقد ظهر من خلال النقاش السابق، أن كل قول منها ركز على معنى معين، هو في الغالب معنى صحيح، لكنه ليس المعنى المطابق للآية ولا يمنع غيره من المعاني التي يشهد لها اللغة والشرع.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السجود، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (١/ ٢٣١)، برقم «٨٧٤»، بلفظ (عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبْرُوتِ وَالْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: لِرَبِّي الْحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوْ الْأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: التسييح في الركوع والسجود (١/ ٢٨٧)، برقم «٨٩٠»، وأخرجه الترمذي في أبواب الصلاة، باب: ما جاء في التسييح في الركوع والسجود (١/ ٣٤٧)، برقم «٢٦١» من حديث ابن مسعود (ت: ٣٢هـ)، والحديث مرسل لأن رواه عن ابن مسعود عون بن عبد الله بن مسعود لم يلق ابن مسعود. وضعفه الألباني.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٢٠٠).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة (١/ ٢٣٣)، برقم «٨٨٣»، وصححه الألباني، وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥)، برقم «٢٠٦٦» وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، باب التأمین (١/ ٣٩٥)، برقم «٩٧٠» وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

المبحث الثاني

المسألة الثانية: متعلق الهداية في «قدر فهدى»

لعل من أسباب تعدد الأقوال في معنى الهدى هنا تعدد معاني الهدى في القرآن إلى أربعة معان:

١ - الهدى بمعنى التسخير العام.

٢ - الهدى بمعنى البيان.

٣ - الهدى بمعنى التوفيق والإلهام

٤ - الهدى بمعنى إدخال الجنة.

فقد انقسم المفسرون في المعنى هنا بناء على أنواع الهدى إلى أقوال:

أحدها: أن المراد فهدى وأضل، فاكفى من ذكر الضلال بذكر الهدى لكثرة ما يكون معه؛ كقوله: ﴿سَرَّابِيلٌ تَقِيكُمُ الْخَرَّةَ﴾ [النحل: ٨١]. وهو قول الفراء^(١).

الثاني: أن المراد بالهداية هنا هداية التوفيق، وهداية التسخير.

أي: هداية التوفيق والإلهام بإلهام السعداء سلوك ما قدره لهم من السعادة، وإلهام الأشقياء سلوك ما قدره لهم من الشقاوة، والهداية العامة التي يقصد بها أن الله تعالى لما خلق المخلوقات قدر لها ما يصلحها وهداها له.

وهذا معنى قول مجاهد (ت: ١٠٤ هـ): هَدَى الْإِنْسَانَ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَهَدَى الْأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا^(٢)، وتبعه الواسطي في هذا، فقال: (قدر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسر لكل واحد من الطالعين سلوك ما قدر عليه)^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٦).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٤ / ٣٦٨)، وقول مجاهد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره - أيضاً - (١٠ / ٣٤١٦)، وذكره البغوي في تفسيره (٨ / ٤٠٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٨ / ٤٨٢).

(٣) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٠ / ١٨٣)، معالم التنزيل للبغوي (٨ / ٤٠٠).

والجزء الأول من قول مجاهد، وهو الخاص بالهداية لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة، قد يفهم منه أن الله تعالى أكره خلقه على سلوك سبيل الخير أو سبيل الشر، ولهذا قال قتادة (ت: ١١٧ هـ) عند هذه الآية: (لَا وَاللَّهِ مَا أَكْرَهُ اللَّهُ عَبْدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ قَطُّ وَلَا عَلَى ضَلَالَةٍ وَلَا رَضِيَهَا لَهُ وَلَا أَمْرَهُ وَلَكِنْ رَضِيَ لَكُمْ الطَّاعَةَ فَأَمَرَكُمْ بِهَا وَنَهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ)^(١).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) - رحمه الله - علاقة قول قتادة بقول مجاهد (ت: ١٠٤ هـ)، فبين أن قول قتادة جاء لينفي ما قد يفهم من قول مجاهد أن الله يكره خلقه على معصيته.

ووجه قول قتادة (ت: ١١٧ هـ) وبين صحته قائلًا: (قُلْتُ: قَتَادَةُ ذَكَرَ هَذَا عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ لِيُبَيِّنَ أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَا قَدَرَهُ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُتَنَازِعِينَ. [فِيمَا]^(٢) سَبَقَ مِنْ سَبَقِ تَقْدِيرِ اللَّهِ وَإِنَّمَا كَانَ نِزَاعٌ بَعْضِهِمْ فِي الْإِرَادَةِ وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ. وَإِنَّمَا نَازَعَ فِي التَّقْدِيرِ السَّابِقِ وَالْكِتَابِ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ الصَّحَابَةُ كَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمَا. وَذَكَرَ قَتَادَةُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُكْرَهُ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ.

وَهَذَا صَحِيحٌ فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ الْمُتَّبِعِينَ لِلْقَدَرِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُكْرَهُ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ كَمَا يُكْرَهُ الْوَالِي وَالْقَاضِي وَغَيْرُهُمَا لِلْمَخْلُوقِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ يُكْرَهُونَهُ بِالْعُقُوبَةِ وَالْوَعْدِ. بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ يَخْلُقُ إِرَادَةَ الْعَبْدِ لِلْعَمَلِ وَقُدْرَتَهُ وَعَمَلَهُ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ قَتَادَةُ قَدْ يُظَنُّ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ وَأَنَّهُ لِسَبَبٍ مِثْلِ هَذَا أَتَاهُمْ

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٣٧، ٧/ ٢١٣)، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٢٢٧، ٥/ ٥٢١-٥٢٢) ونسباه لعبد بن حميد.

(٢) في الكتاب «فما» ولعل الصواب ما أثبت.

فتادة بِالْقَدَرِ حَتَّى قِيلَ: إِنَّ مَالِكًا كَرِهَ لِمَعْمَرٍ أَنْ يَرْوِيَ عَنْهُ التَّفْسِيرَ لِكَوْنِهِ أَتُهُمَ بِالْقَدَرِ. وَهَذَا الْقَوْلُ حَقٌّ وَلَمْ يُعْرِفْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ أَكْرَهَ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ". بَلْ أُبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَفَظَ "الْجَبْرَ" مَنَعُوا مِنْ إِطْلَاقِهِ كَالأَوْزَاعِي وَالثَّوْرِيُّ وَالرُّبَيْدِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ. تَهَوَّا عَنْ أَنْ يُقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَبَرَ الْعِبَادَ" وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا بَدْعَةٌ فِي الشَّرْعِ وَهُوَ مُفْهِمٌ لِلْمَعْنَى الْفَاسِدِ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُهُ: إِنَّ السَّنَةَ جَاءَتْ بِـ "جَبَلَ" وَلَمْ تَأْتِ بِـ "جَبَرَ" (فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَشَجَّ عَبْدِ الْقَيْسِ: إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ. فَقَالَ: أَخْلُقَيْنِ تَخَلَّقْتَ بِهِمَا أَمْ خُلُقَيْنِ جُبِلْتَ عَلَيْهِمَا؟ فَقَالَ: بَلْ خُلُقَيْنِ جُبِلْتُ عَلَيْهِمَا. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ^(١)). وَقَالَ الرُّبَيْدِيُّ وَغَيْرُهُ: إِنَّمَا يُجَبَرُ الْعَاجِزُ يَعْنِي الْجَبْرُ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْإِكْرَاهِ كَمَا تُجَبَرُ الْمَرْأَةُ عَلَى النِّكَاحِ. وَاللَّهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُجَبَرَ أَحَدًا يَعْنِي أَنَّهُ يَخْلُقُ إِرَادَةَ الْعَبْدِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِجْبَارِهِ. فَالرُّبَيْدِيُّ وَطَائِفَةٌ تَفَوُّوا "الْجَبْرَ" وَكَانَ مَفْهُومُهُ عَنْدهُمْ هَذَا. وَأَمَّا الْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا فَكَرَهُوا أَنْ يُقَالَ: "جَبَرَ" وَأَنْ يُقَالَ: "لَمْ يُجَبَرَ"؛ لِأَنَّ "الْجَبْرَ" قَدْ يُرَادُ بِهِ الْإِكْرَاهُ وَاللَّهُ لَا يُكْرَهُ أَحَدًا. وَقَدْ يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ خَالِقُ الْإِرَادَةِ كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: "الْجَبَّارُ هُوَ الَّذِي جَبَرَ الْعِبَادَ عَلَى مَا أَرَادَ". وَ"الْجَبْرُ" بِهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ^(٢).

ثم بين شيخ الإسلام قول مجاهد (ت: ١٠٤ هـ) - رحمه الله - على ضوء بيان فتادة (ت: ١١٧ هـ) - رحمه الله - قائلًا: (وَقَوْلُ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: (قَدَرَ فَهَدَى)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١ / ٤٨)، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالله ورسوله وشرائع دينه، والدعاء إليه.

رقم «١٧، ١٨»، وأبو داود في سننه (٤ / ٣٥٧)، كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل، برقم «٥٢٢٥»

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦ - ١٤٣ هـ).

"هَدَى الْإِنْسَانَ لِلْسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ" يُبَيِّنُ أَنَّ هَذَا عِنْدَهُ مِمَّا دَخَلَ فِي قَوْلِهِ: (قَدَّرَ فَهَدَى) أَيُّ: هَدَى السُّعْدَاءِ إِلَى السَّعَادَةِ الَّتِي قَدَّرَهَا وَهَدَى الْأَشْقِيَاءَ إِلَى الشَّقَاءِ الَّذِي قَدَّرَهُ^(١).

ثم شرحه بنظائره من قول مجاهد (ت: ١٠٤ هـ) - رحمه الله - نفسه قائلاً (وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) [الإنسان: ٣] قَالَ: السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ^(٢)). وَقَالَ عِكْرِمَةُ: سَبِيلَ الْهُدَى^(٣). رَوَاهُمَا عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ. وَكَذَلِكَ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: (وَهَدَيْنَاهُ التَّحْدِيثَ) [البلد: ١٠] قَالَ: الشَّقَاوَةُ وَالسَّعَادَةُ^(٤).

وَقَدْ قَالَ هُوَ وَجَمَاهِيرُ السَّلَفِ: (وَهَدَيْنَاهُ التَّحْدِيثَ) [البلد: ١٠]: أَيُّ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ^(٥)، ثُمَّ قَالَ: وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ فِي إِحْدَى [الروايات] وَشَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ وَأَبِي صَالِحٍ وَمُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَعِكْرِمَةَ وَشُرَحْبِيلَ بْنَ سَعِيدٍ وَابْنَ سِنَانَ الرَّازِيَّ وَالضَّحَّاكَ وَعَطَاءَ الْخُرَّاسَانِيَّ وَعَمْرُو بْنَ قَيْسٍ الْمَلَانِي نَحْوُ ذَلِكَ. وَرَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِي قَالَ: الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ^(٦)^(٧).

وقد بين شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - أن أصحاب هذا القول يقسمون الهداية المرادة هنا إلى هداية عامة مشتركة، وهداية خاصة بالمؤمن إلى طريق السعادة، وهداية

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦ / ١٤٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣ / ٥٣٧، ٢٤ / ١١٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨ / ٣٦٨)، ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر بلفظ (السبيل: الهدى).

(٤) لم أحده في ابن أبي حاتم المطبوع.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٤٣٤).

(٦) لم أحده بهذا اللفظ في تفسير ابن أبي حاتم المطبوع.

(٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦ / ١٤٣).

خاصة بالكافر إلى طريق الشقاوة^(١).

وقد استدل الرازي (ت: ٦٠٦هـ) لهذا القول مقولاً له بالسياق، موجهاً ذلك بأن ما ذكره الله تعالى قبل الهداية يرجع إلى أحوال الدنيا، فتكون الهداية متعلقة بأمور الدين، فقال: (واعلم أن هذه الأقوال على كثرتها لا تخرج عن قسمين: فمنهم من حمل قوله: «فَهْدَى» على ما يتعلق بالدين كقوله: «وَهْدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» ومنهم من حمّله على ما يرجع إلى مصالح الدنيا.

والأول أقوى لأن قوله: ﴿وَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]. و﴿قَدَّرَ﴾ [الأعلى: ٣] يرجع إلى أحوال الدنيا ويدخل فيه إكمال العقل والقوى ثم أتبعه بقوله: ﴿فَهْدَى﴾ أي كلفه ودله على الدين^(٢).

ويفهم من كلامه أن الهداية هنا خاصة بهذا النوع، وهو الهداية الشرعية. القول الثالث: أن المراد هداية التسخير، والمراد بها الهداية العامة للمخلوقات. ويدخل فيها: هدايته تعالى للذكر كيف يأتي الأنثى وهو المنسوب لابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رحمته، والسدي (ت: ١٢٨ هـ) ومقاتل (ت: ١٥٠ هـ) والكلبي (ت: ١٤٦ هـ).

ويدخل فيها هدايته لكل دابة إلى ما يصلحها وهو قول عطاء (ت: ١١٤ هـ)، وهدايته لاكتساب الأرزاق والمعاش، وهدايته لوجه استخراج المنافع من الأشياء، وهدايته الولد للخروج من الرحم وقد نسب للسدي (ت: ١٢٨ هـ)، وهدايته له عند وضعه إلى مص الثدي^(٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ١٤٤).

(٢) التفسير الكبير للرازي (٣١/ ١٢٧).

(٣) انظر: الكشف والبيان للعلفي (١٠/ ١٨٣)، النكت والعيون للماوردي (٦/ ٢٥٢)، البسيط للواحدي (٢٣/ ٤٣٢)، معالم التنزيل للبغوي (٨/ ٤٠٠).

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ): (وَهَدَايَاتُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَا يُحَدُّ مِنْ مَصَالِحِهِ، وَمَا لَا يُخْصَرُ مِنْ حَوَائِجِهِ، فِي أَغْذِيَّتِهِ وَأَذْوِيَّتِهِ، وَفِي أَبْوَابِ دُنْيَاهُ وَدِينِهِ، وَإِلَهَامَاتِ الْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ وَهَوَامِّ الْأَرْضِ بَابٌ وَاسِعٌ، وَشَوْطٌ بَطِينٌ، لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ وَاصِفٌ، فَسُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى^(١)).

وفي تعميق هذا المعنى ينه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) إلى أن هذه الهداية لا تقتصر على هداية المخلوق إلى حاجته بل تتضمن هداية غيره من الأحياء أن يسوق إليه تلك الحاجة وفق تقدير الله تعالى:

يقول في ذلك: (فَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ قَدَّرَ مَا سَيَكُونُ لِلْمَخْلُوقَاتِ وَهَذَاهَا إِلَيْهِ. عَلِمَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْدَّوَابُّ مِنَ الرِّزْقِ، فَخَلَقَ ذَلِكَ الرِّزْقَ وَسَوَّاهُ وَخَلَقَ الْحَيَوَانَ وَسَوَّاهُ وَهَدَاهُ إِلَى ذَلِكَ الرِّزْقِ. وَهَدَى غَيْرَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ أَنْ يَسُوقَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرِّزْقَ.

وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَقَدَّرَ حَاجَتَهَا إِلَى الْمَطَرِ وَقَدَّرَ السَّحَابَ وَمَا يَحْمِلُهُ مِنَ الْمَطَرِ. وَخَلَقَ مَلَائِكَةً هَدَاهُمْ لِيَسُوقُوا ذَلِكَ السَّحَابَ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ فَيُمْطَرُ الْمَطَرُ الَّذِي قَدَّرَهُ.

وَقَدَّرَ مَا نَبَتْ بِهَِا مِنَ الرِّزْقِ وَقَدَّرَ حَاجَةَ الْعِبَادِ إِلَى ذَلِكَ الرِّزْقِ. وَهَدَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ الرِّزْقِ وَهَدَى مَنْ يَسُوقُ ذَلِكَ الرِّزْقَ إِلَيْهِمْ^(٢).

القول الرابع: أن المراد بالهداية هنا هداية البيان والدعوة، بمعنى دعا إلى الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. أي لَتَدْعُو، وَقَدْ دَعَا الْكُلُّ إِلَى الْإِيمَانِ^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٥).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ١٣٩).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣١/ ١٢٧).

القول الخامس: أن الهداية هنا شاملة للهداية العامة الكونية، والهداية الشرعية. يقول الشيخ ابن عثيمين: (وقوله: (فهدى) يشمل الهداية الشرعية، والهداية الكونية، الهداية الكونية: أن الله هدى كل شيء لما خلق له، قال فرعون لموسى: (فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [طه: ٤٩، ٥٠]. تجد كل مخلوق قد هداه الله تعالى لما يحتاج إليه.....

أما الهداية الشرعية - وهي الأهم بالنسبة لبني آدم - فهي أيضاً بينها الله عز وجل حتى الكفار قد هداهم الله يعني بين لهم، قال الله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) [فصلت: ١٧]. والهداية الشرعية هي المقصود من حياة بني آدم (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦]^(١).

الترجيح:

إن المتأمل في جميع الأقوال السابقة يلاحظ ما يأتي:

١- أنها لا تتناقض، ففي كل قول نوع أو أكثر من أنواع الهداية، ولم يستبعد أحد من المفسرين قولاً معيناً منها إلا قول الفراء (ت: ٢٠٧هـ).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (قُلْتُ: الْقَوْلُ الَّذِي حَكَاهُ الرَّجَاجُ هُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ وَهُوَ مِنْ جِنْسِ قَوْلِهِ: "إِنْ نَفَعْتَ وَإِنْ لَمْ تَنْفَعْ" وَمِنْ جِنْسِ قَوْلِهِ: "سَرَايِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ". وَقَدْ تَقَدَّمَ ضَعْفُ مِثْلِ هَذَا وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ)^(٢).

ويقول ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): (قلت الآية أعم من هذا كله وأضعف الأقوال

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص (١٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ١٤٧).

فيها قول الفراء^(١).

ويقول ابن جزئي (ت: ٧٤١هـ) (وقال الفراء: المعنى هدى وأضل، واكتفى بالواحدة لدلالاتها على الأخرى وهذا بعيد)^(٢).

وسبب تضعيفه أنه اعتمد الحذف الذي لا دليل عليه من قريب أو بعيد، مع أن المعنى الذي ذكره من دخول الهداية والضلال تحت الهداية حاصلة دون الحاجة إلى ما ذكره من تفسير بعيد.

٢- أن بعض أنواع الهداية التي تتضمنها أقوال المفسرين أكثر تبادراً وشيوعاً من بعض؛ فالهداية العامة التي تعني هداية المخلوقات لما تحتاج إليه تكاد أن تكون محل إجماع، ثم هداية البيان والدعوة. والهداية بمعنى إلهام العبد إلى ما قدر له من سعادة وشقاوة أقل شيوعاً، بل هناك من لا يرى دخولها، وقد يورد عليها واردات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) - معلقاً على قول مجاهد (ت: ١٠٤هـ) - رحمه الله - بأن هدى يعني للسعادة والشقاوة: (وَهَذَا كَلَامٌ مُجْمَلٌ فِيهِ مَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا أَرْسَلَهُ مِنَ الرُّسُلِ وَنَصَبَهُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْآيَاتِ وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَمَا فِي قَوْلِهِ: (وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْتَاهُمْ) [فصلت: ١٧].

وَأَمَّا إِذْخَالَ الْهُدَى الَّذِي هُوَ الْإِلَهَامُ فِي ذَلِكَ بِمَعْنَى أَنَّهُ هَدَى الْمُؤْمِنَ إِلَى أَنْ يُؤْمِنَ وَيَعْمَلَ صَالِحًا إِلَى أَنْ يَسْعَدَ بِذَلِكَ وَهَدَى الْكَافِرَ إِلَى مَا يَعْمَلُهُ إِلَى أَنْ يَشْقَى بِذَلِكَ فَهَذَا مِنْهُمْ مَنْ يُدْخِلُهُ فِي الْآيَةِ كَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَيُدْخِلُهُ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) [الإنسان: ٣].

(١) شفاء العليل لابن القيم (١ / ١٨٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيء (٢ / ٤٧٤).

وَعِزَّةٌ وَغَيْرُهُ يُخْرِجُونَ ذَلِكَ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ وَإِنْ كَانُوا مُقَرِّينَ بِالْقَدَرِ. وَمَنْ قَالَ: "هَدَى" بِمَعْنَى بَيَّنَّ فَقَطَّ فَقَدْ هَدَى كُلُّ عَبْدٍ إِلَى نَجْدِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ جَمِيعًا أَيْ بَيَّنَّ لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وَمَنْ أَدْخَلَ فِي ذَلِكَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ يَقُولُ: فِي هَذَا تَقْسِيمٌ أَيْ هَذِهِ الْهِدَايَةُ عَامَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ وَخَصَّ الْمُؤْمِنَ بِهِدَايَةٍ إِلَى نَجْدِ الْخَيْرِ وَخَصَّ الْكَافِرَ بِهِدَايَةٍ إِلَى نَجْدِ الشَّرِّ....

وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ ذَلِكَ فِي الْآيَةِ قَدْ يَحْتَجُّونَ بِحَدِيثٍ مِنْ مَرَّاسِيلِ الْحَسَنِ قَالَ: ذَكَرْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا هُمَا التَّجْدَانِ نَجْدُ الْخَيْرِ وَنَجْدُ الشَّرِّ. فَمَا يَجْعَلُ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ؟) (١). وَيَحْتَجُّونَ بِأَنَّ إِلَهَامَ الْفَاجِرِ طَرِيقَ الْفُجُورِ لَمْ يُسَمِّهِ هُدًى بَلْ سَمَّاهُ ضَلَالًا وَاللَّهُ أَمْتَنُ بِأَنَّهُ هَدًى.

وَقَدْ يُجِيبُ الْآخَرُ بِأَنَّ يَقُولَ: هُوَ لَا يَدْخُلُ فِي الْهُدَى الْمُطْلَقِ لَكِنْ يَدْخُلُ فِي الْهُدَى الْمُقَيَّدِ كَقَوْلِهِ: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) [فصلت: ٢٣] وَكَمَا فِي لَفْظِ

(١) ذكره ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٤)، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ بغير سند، وأخرجه عبد الرزاق (٣/ ٤٢٨)، وابن جرير (٢٤/ ٤١٧ - ٤١٨)، من طرق عن الحسن وقتادة، عن النبي ﷺ مرسلًا، وذكره ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٠٤ - ٤٠٥)، وعزاه إلى ابن وهب بسنده عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ ثم قال: (قَرَأَ بِهِ سَنَانُ بْنُ سَعْدٍ - وَيُقَالُ: سَعْدُ بْنُ سَنَانٍ - وَقَدْ وَفَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَوْزَجَانِيُّ: مُنْكَرُ الْحَدِيثِ. وَقَالَ أَحْمَدُ: تَرَكْتُ حَدِيثَهُ لِاضْطِرَّابِهِ. وَرَوَى خُمُسَةُ عَشَرَ حَدِيثًا مُنْكَرَةً كُلَّهَا، مَا أَعْرِفُ مِنْهَا حَدِيثًا وَاحِدًا. يُشْبِهُ حَدِيثَهُ حَدِيثُ الْحَسَنِ - يَعْنِي الْبَصْرِيِّ - لَا يُشْبِهُ حَدِيثَ أَنَسٍ.... وَكَذَا رَوَاهُ حَبِيبُ بْنُ الشَّهِيدِ، وَيُونُسُ بْنُ عُيَيْدٍ، وَأَبُو وَهْبٍ، عَنْ الْحَسَنِ مُرْسَلًا. وَهَكَذَا أُرْسَلَتْ قَتَادَةُ). أَهـ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦٢)، برقم «٨٠٢٠» بسند آخر من حديث فضال أبي أمامة عن النبي ﷺ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٦) وفضال ضعيف، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ١٧٠).

الْبَشَارَةِ قَالَ: (فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [آل عمران: ٢١] وَلَفَظُ الْإِيمَانِ فَقَالَ: (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) [النساء: ٥١]^(١).

وهذا يتبين أن بعض أنواع الهداية أكثر تبادراً وشيوعاً من مفهوم هذا النص من غيرها، ولعل هذا من أسباب التركيز على معان أكثر من غيرها.

غير أن كل ذلك لا يكفي لتخصيص العموم المفهوم من حذف متعلق الهداية، مع جواز إرادة ذلك العموم بلا إشكال.

ولهذا كان المصرح برجحانه عند من صرح بالترجيح هو العموم، بأن تكون تلك المعاني جميعاً داخلة في الهداية المرادة هنا.

وهذا لا يمنع تقدم معاني على أخرى لتبادرها إلى الذهن وتركيز القائلين عليها أكثر من غيرها. كالهداية العامة التي تعني تسخير المخلوقات إلى ما تحتاج إليه.

يقول ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ): (وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ اللَّهَ عَمَّ يَقُولُهُ: (فَهَدَى). الْخَبَرُ عَنْ هِدَايَتِهِ خَلْقَهُ، وَلَمْ يُخَصَّصْ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى دُونَ مَعْنَى، وَقَدْ هَدَاهُمْ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهَدَى الذُّكُورَ لِمَاتَى الْإِنَاثِ، فَالْخَبَرُ عَلَى عُمُومِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ خَبَرٌ يَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ، ذَالٌّ عَلَى خُصُوصِهِ)^(٢).

ويقول ابن عطية (ت: ٥٤٦ هـ) (وهذه الأقوال مثالات والعموم في الآية أصوب في كل تقدير وفي كل هداية)^(٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ): (وَالْأَقْوَالُ الصَّحِيحَةُ هِيَ مِنْ بَابِ الْمَثَالَاتِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ)^(٤).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٣١٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٤٠).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ١٤٧).

ويقول ابن جزئي (ت: ٧٤١هـ): (وهذه الأقوال أمثلة والأول أعم وأرجح، فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب)^(١).
ويقول أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ) بعد أن ذكر جميع الأقوال: (وهذه الأقوال محمولة على التمثيل لا على التخصيص)^(٢).

ويقول ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): (قلت الآية أعم من هذا كله، وأضعف الأقوال فيها قول الفراء؛ إذ المراد هاهنا الهداية العامة لمصالح الحيوان في معاشه، ليس المراد هداية الإيمان والضلال بمشيئته، وهو نظير قوله ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فأعطاء الخلق إيجاداً في الخارج، والهداية التعليم والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه وقيمه).

وما ذكر مجاهد فهو تمثيل منه لا تفسير مطابق للآية، فإن الآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقة وبهيمه طيره ودوابه فصيحة وأعجمه، وكذلك قول من قال أنه هداية الذكر لإتيان الأنثى تمثيل أيضاً، وهو فرد واحد من أفراد الهداية التي لا يحصيها إلا الله، وكذلك قول من قال هداه للمرعى، فإن ذلك [من]^(٣) الهداية إلى التقام الثدي عند خروجه من بطن أمه، والهداية إلى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت، والهداية إلى قصد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه، وهداية الطير والوحش والدواب إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان؛ كهداية النحل إلى سلوك السبل التي فيها مراعيها على تباينها ثم عودها إلى بيوتها من الشجر والجبال وما يغرس بنو آدم)^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيء (٢/ ٤٧٤).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (١٠/ ٤٥٦).

(٣) كذا في الكتاب ولعل الأصوب (منه).

(٤) شفاء العليل لابن القيم (١/ ١٨٣-١٨٤).

ويقول ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) (فَمَفْعُولُ «هَدَى» مَحذُوفٌ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ)^(١).

وبهذا يعلم أن القول الراجح في هذه المسألة هو العموم، فجميع أنواع الهداية داخلية في قوله: ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾ غير أن بعض أنواع الهداية كالمهداية العامة أدخل في المعنى من أنواع أخرى كهداية التوفيق لنجدي الخير والشر، لظهور معناها، والاتفاق عليه. وعليه فالمعنى الجملي لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ هدى المخلوقات لكل ما يصلحها، وهدى المؤمن لما قُدِّرَ له من الإيمان، وهدى الكافر لما قُدِّرَ له من الكفر، وبين للإنسان ما كلفه به ودعاه إليه. - والله أعلم.

الخاتمة

يمكن بعد هذه الدراسة التحليلية لهاتين المسألتين الخروج بالتائج الآتية:

- ١- من أهم أسباب الاختلاف في معنى التسييح في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ كثرة تكرار لفظ التسييح في القرآن، وكثرة معانيه.
- ٢- في التسييح في هذه المسألة أقوال كثيرة تعود إلى ثلاثة هي:
 - أنه بمعنى التنزيه.
 - أنه بمعنى الذكر.
 - أنه بمعنى الصلاة.
- ٣- أرجح هذه الأقوال الأول؛ لأنه أجمع المعاني، ولأنه المعنى المتكرر في القرآن بكثرة، ولدلالة السنة النبوية الواردة في سياق نزول الآية عليه.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٢٧٧). وانظر - أيضاً - إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩/ ١٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥١٤)، أضواء البيان للشنقيطي (٨/ ٥٠٢).

- ٤- من أهم أسباب الاختلاف في متعلق الهدى في قوله تعالى: ﴿قَدَّرَ فَهْدَى﴾ كثرة تكرار لفظ الهدى في القرآن، وتعدد معانيه.
- ٥- في الهدى في هذه المسألة أقوال تعود إلى أربعة:
 - ١- أن التركيب من باب الحذف والاكتفاء؛ إذ اكتفى عن ذكر الضلال بذكر الهدى، والهدى على هذا بمعنى التوفيق إلى الصراط المستقيم.
 - ٢- أنه بمعنى هداية التوفيق والتسخير معاً.
 - ٣- أنه بمعنى هداية التسخير.
 - ٤- أنه بمعنى هداية البيان والدلالة.
 - ٥- أنه بمعنى جميع أنواع الهداية مع ظهور بعضها أكثر من بعض.
- ٦- أرجح الأقوال في المراد بالهدى في قوله: ﴿قَدَّرَ فَهْدَى﴾ أنه يدخل فيه جميع أنواع الهداية، فيشمل الهداية العامة التي بمعنى التسخير، ويشمل الهداية الخاص للكفار لما قدر لهم من الشقاوة، والهداية الخاصة للمؤمنين لما قدر لهم من الإيمان، كما يشمل هداية الدلالة والإرشاد.
- ٧- من أقوى المرجحات التي يستفاد منها في ترجيح الأقوال:
 - ١- حمل اللفظ على الغالب من لغة القرآن ومعهود استعماله.
 - ٢- حمل اللفظ على المعنى الشائع لغة الذي عليه استعمال الأكثر.
 - ٣- حمل اللفظ على العموم، وعدم التخصيص بلا دليل ما دام اللفظ على عمومه.
 - ٤- حمل اللفظ على دلالة السنة الواردة في سياق النزول.

* * *

المراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي. بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع. عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- البحر المحيط في التفسير. لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ). تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت، دار الفكر. الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- التيسير في ضوء الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه. تأليف: د. محمد بن إسحاق كندو. تقلّم: فضيلة الشيخ: أ. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة دار المنهاج. الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل. لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي. بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم. الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
- التفسير البسيط. لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ). تحقيق: د. نورة بن عبد الله بن عبد العزيز الورثان. أشرف على طباعته: د. عبد العزيز بن سطاتم آل سعود. أ. د. تركي بن سهو العتيبي. المملكة العربية السعودية. جامعة الإمام بن محمد سعود الإسلامية.
- تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. تونس، الدار التونسية للنشر. د. ط / ١٩٨٤م.

- تفسير القرآن. للإمام أبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي. تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم وآخر. الرياض، دار الوطن. الطبعة الأولى/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ). الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط/ ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم. تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. المملكة العربية السعودية، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- تفسير القرآن العظيم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ). تحقيق: أسعد محمد الطيب. المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز. الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن الكريم: جزء عم. لفضيلة الشيخ العلامة: محمد بن صالح العثيمين. المملكة العربية السعودية، عنيزة، دار الثريا للنشر. الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). بيروت، دار إحياء التراث العربي. الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ
- تفسير عبد الرزاق. لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني

الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ). تحقيق: د. محمود محمد عبده. بيروت، دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

• تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان. للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦ هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي. قدم له: الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، الشيخ: محمد بن صالح العثيمين. المملكة العربية السعودية، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ط/١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

• جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

• بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

• الجامع الكبير (سنن الترمذي). لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي. سنة النشر: ١٩٩٨ م

• جامع المسائل لابن تيمية. لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد عزيز شمس. إشراف: بكر ابن عبد الله أبو زيد. المملكة العربية السعودية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ

- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة، دار الكتب المصرية. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
- الدر المنثور. لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). بيروت، دار الفكر.
- زاد المسير في علم التفسير. لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي. الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- سنن ابن ماجه. لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وواجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- السنن الصغرى للنسائي = المجتبى من السنن. لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. حلب مكتب المطبوعات الإسلامية. الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. تأليف: الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية: ٦٩١ - ٧٥١هـ). خرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى أبو النصر الشلي. المملكة العربية السعودية،

- جدة، مكتبة السوادى. الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ — ١٩٩١م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تأليف محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم التميمي البستي المتوفى (٣٥٤هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت، مؤسسة الرسالة. ط ٢/١٤١٤هـ.
 - صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر) من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري). لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
 - صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
 - صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيح. لناصر بن حمد الفهد. المملكة العربية السعودية. الرياض. مكتبة أضواء السلف. الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٣م.
 - ضعيف الترغيب والترهيب. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). الرياض. مكتبة المعارف.
 - فتح القدير. لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). دمشق، دار ابن كثير. بيروت، دار الكلم الطيب. الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ

- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية. تأليف: د. حسين بن علي ابن حسين الحربي. راجعه وقدم له: فضيلة الشيخ: مناع بن خليل القطان. المملكة العربية السعودية، الرياض، دار القاسم. ط ٢ / ١٤٢٩هـ — ٢٠٠٨م.
- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، تأليف: أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ). مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعد. بيروت، دار إحياء التراث العربي ط ١/ ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م.
- كليات الألفاظ في التفسير دراسة نظرية تطبيقية. تأليف: بريك بن سعيد القرني. الطبعة الأولى: ذي الحجة: ١٤٢٦هـ.
- اللباب في علوم الكتاب. لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. بيروت، لبنان. دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ). تحقيق: حسام الدين القوسي. القاهرة، مكتبة القدسي، ط / ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- مجموع الفتاوى. لشيخ الإسلام: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم. المملكة العربية، المدينة المنورة. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م

- محاسن التأويل. لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود. بيروت، دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة (٥٤٦هـ). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت، دار الكتب العلمية. ط ١/١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م.
- المستدرك على الصحيحين. للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت. دار الكتب العلمية. ط ١/١٤١١هـ - ١٩٩٠ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
- معالم التنزيل. للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي. حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون. المملكة العربية السعودية، الرياض، دار طيبة. الطبعة الثانية / ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.
- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ). تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشليبي. مصر دار المصرية للتأليف والترجمة. الطبعة: الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري. شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شليبي. بيروت، عالم الكتب. ط ١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.
- المعجم الكبير. تأليف: الإمام: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي

- الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. القاهرة، مكتبة ابن تيمية. الطبعة: الثانية
- النكت والعيون تفسير الماوردي. تصنيف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري. راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت، دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية. د. ط / د. ت.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ). مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي. جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مجموعة بحوث الكتاب والسنة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

* * *

فهرس المحتويات

..... المقدمة	المقدمة
..... موضوع البحث	موضوع البحث
..... أهمية البحث	أهمية البحث
..... أهداف البحث	أهداف البحث
..... منهج البحث	منهج البحث
..... خطة البحث	خطة البحث
..... المبحث الأول: المسألة الأولى: المراد بقوله: «اسم ربك»	المبحث الأول: المسألة الأولى: المراد بقوله: «اسم ربك»
..... أسباب الاختلاف	أسباب الاختلاف
..... جملة الأقوال:	جملة الأقوال:
..... خلاصة الأقوال	خلاصة الأقوال
..... الترجيح	الترجيح
..... المبحث الثاني: المسألة الثانية: متعلق الهداية في «قدر فهدى»	المبحث الثاني: المسألة الثانية: متعلق الهداية في «قدر فهدى»
..... الخاتمة	الخاتمة
..... المراجع	المراجع
..... فهرس المحتويات	فهرس المحتويات

* * *